التعقيب والمناقشات

الدكتور جمال زهران:

سوف نحاول بقدر الإمكان إثارة الانتباه إلى عدة ملاحظات أساسية: أول ملاحظة تتعلق بمواقف الدول المتعلقة بهذه الجلسة. فهذه الجلسة تتعلق برؤية ما يسمى بالعالم الاسلامي والدول الفاعلة فيه، وأهم دولتين في هذا الصدد هما تركيا وإيران. وماعدا ذلك تعتبر دولاً ذات أدوار هامشية كما سمعنا، فلم تكن أدوارها فاعلة وهي في أحسن الأحوال أدوار مكملة، لا تحمل أكثر من التعاطف، لا أكثر ولا أقل. وهذا بسبب غياب مأسسة العالم الاسلامي؛ لأن منظمة المؤتمر الإسلامي تراجعت بشدة، ولأن عددًا من الدول الفاعلة في هذه المنظمة لا تريد بأي حال من الأحوال أن يكون العالم الإسلامي عالمًا فاعلا. وهذه نقطة مهمة لابد أن تؤخذ في الاعتبار.

بالطبع هناك تداخل بين ما هو إسلامي وما هو عربي، ولكن الإسلامي هو مفهوم أو محيط أوسع من العالم العربي، ولو دققنا النظر بعض الشيء سنجد أن الدول الفاعلة إسلاميًا هي دول جوار عربي، وهي دول أساسية من منظور أنها منافسة للأدوار العربية، ولو تحدثنا عن الأدوار العربية فإن الدور المصري يقع في القلب من الأدوار العربية، لذلك كان العالم كله مهتمًا بالدور المصري، ولو لاحظنا الدور الإيراني سنجد أنه كان ظاهرًا وفاعلا ومؤثرًا في إدارة الأحداث والدفع بها واشتعالها. أما الدور التركي فقد كان دورًا فاعلا ومهمًا منذ اللحظة الأولى، وبالتالي في غياب الدور المصري ظهر الدور الإيراني بشكل كبير وكذلك الدور التركي.

ولو وضعنا سيناريو لإعادة إنتاج وتحريك الأحداث في إطار الدراسات المستقبلية في علم السياسة، وأعدنا تشكيل الصورة الأخرى ووضعنا في هذا المشهد دورًا مصريًا فاعلاً فماذا ستكون النتيجة؟ النتيجة هي زيادة فاعلية كل الأدوار التي استمعنا إليها في تلك الجلسة. وكان سيكون هناك حضور إسلامي وعربي. وقد شهدنا تراجعًا إفريقيًا. والسؤال هو: من الذي خلق هذا التراجع الإفريقي؟ فهذا المشهد هو بسبب التراجع المصري منذ كامب ديفيد. أنا أتذكر تمامًا الأستاذ الدكتور بطرس غالي عندما كان وزير الدولة للشؤون الخارجية، وسألناه عن الدوائر التي اكتسبناها عربيًا وآسيويًا وإفريقيًا وإسلاميًا وسألناه حول مصير دول العالم الثالث؟ فأشار إلى أنه بمجرد ما حدثت مبادرة الرئيس السادات والإعداد لكامب ديفيد استعدى بذلك الموقف كل السفراء الأفارقة وطالبهم بالتضامن مع مصر فيما يتعلق بمبادرة السلام، فأشاروا إلى أنهم أخذوا موقفًا عدائيًا من إسرائيل ومن الولايات المتحدة بسبب مصر، فكيف يطالبهم اليوم بالعكس؟ وهذا بالطبع الحصاد الذي حصدته مصر، ولم يعد هناك عالم إفريقي مؤيد لمصر، ولم يعد هناك عالم إسلامي حقيقي، بل إن الأمر كله عبارة عن مواقف متناثرة، بل إن العالم العربي نفسه لم يعد كما كان، ولم يعد هناك موقف مصري فاعل، بالتالي أصبحنا أمام شتات في المواقف؛ لأنه لم تعد هناك مواقف حاسمة.

ومن هنا ظهرت المواقف الإسلامية غير العربية المتمثلة في إيران وتركيا، وهذه مواقف لها مصالحها وكل طرف منهم يمثل امبراطورية سابقة؛ فإيران كانت الإمبراطورية الفارسية، وتركيا تمثل الإمبراطورية العثمانية، ومصر لم تعد تمثل العرب. أقول

هذا وأنا حزين؛ لأنني عروبي وقومي ومازلت أعتقد في صواب الفكرة القومية ومتحمسًا لها. ولذلك عندما نتحدث عن الموقف الآسيوي ستجدنا بطريقة أو بأخرى نتحدث عن الدور المصري، ولو تحدثنا عن إفريقيا ستجد أننا أيضًا نتحدث عن مصر، وكذلك الحال لو تحدثنا عن موقف العالم الإسلامي؛ لأن مصر هي رمانة الميزان، شاء البعض أم أبى، وهذه هي الحقيقة.

لكن المشكلة الأساسية، وكما نعلم في علم السياسة، أن الدور له تكلفة سياسية واقتصادية وعسكرية. والذين كانوا يدّعون على المعارضة المصرية والعربية بأنها كانت تريد لمصر أن تحارب، كانوا يحاولون تفسير هروب مصر من مسؤوليتها. لم يدعُ أحد لدخول مصر في حرب، لكن من هاجموا المعارضة أرادوا أن يذهبوا بعيدًا بالتفسيرات حتى تُغلق الفرصة على استخدام جميع أوراق القوة الناعمة كما نسميها، وجميع أوراق الضغط الأخرى. فليس بالضرورة أن يُطلب من مصر أن تحارب.

وبالمناسبة أريد الرد على بعض التساؤلات التي أعتبرها كلاما غوغائيا ليس له أصل، والخاصة بأن مصر لها الفضل على الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ وأنها خاضت الحرب من أجل فلسطين، فهذه ليست حقيقة تاريخية. فنحن هنا نتحدث من على منصة كلية العلوم السياسية الأولى في الوطن العربي والتي تجمع بين كل الاتجاهات السياسية، ونستطيع أن نرد بعضنا البعض في دلالات هذه الحقائق. فالحرب الوحيدة التي خضناها من أجل فلسطين هي حرب عام ١٩٤٨، أما في عام ١٩٥٦ فقد تم تأميم قناة السويس وتم الاعتداء علينا، والسؤال هو: ما علاقة ذلك بالفلسطينيين؟ وفي عام ١٩٦٧ أغلقنا المضائق فاحتلوا سيناء، وفي عام ١٩٧٣ تمت الحرب لاسترداد سيناء، وبعدها لم نحارب، إذن أين تلك الحروب التي خضناها من أجل فلسطين؟ فهذا كلام غوغائي ليس له أصل، لكنه له بعد دعائي سياسي وفيه مَنّ على الفلسطينيين، وحتى لو حاربنا من أجل الفلسطينيين، فهذه بالتأكيد حرب من أجل الأمن القومي المصري والأمن القومي العربي، فلماذا نريد التخلي عن مسؤولياتنا؟ وبالتالي ما أريد قوله هو أن مصر ضحت بدورها التاريخي في عهد هذا النظام، ومن ثم لابد ن ننظر إلى مصر من هذه الزاوية.

فالمعارضة المصرية ببساطة قدمت أحد عشر مطلبًا للقيادة السياسية. وباعتباري من السياسيين المعارضين والمستقلين، كنت أرى أنه على القيادة المصرية أن تقوم بالحد الأدنى حتى تُشعر الآخرين وتخجلهم من أنها اتخذت موقفًا ما؛ كسحب السفير للتشاور. لكن الصورة التي طُبعت في أذهان الناس والسيدة ليفني تتكئ على وزير الخارجية المصري كانت صورة فاضحة وكاشفة لحقيقة الموقف المصري. واستطاعت الدعاية الصهيونية أن توقع الدبلوماسية المصرية في شرك، وهذا الشرك أثر على صورة الدور المصري حتى أصبح غير مقبول منه أي شيء أو أي تبرير، حتى لو تدخل الرئيس المصري بنفسه ليعدل مسار مساعديه غير القادرين على تنفيذ توجهات الرئيس. وهذا يعني أن هناك فجوة ما بين صانع القرار الرئيسي وبين مساعديه من صناع القرارات الفرعية، وهذه الفجوة يمكن أن نسميها بأن لدينا نظامين للحكم، وفي مدرسة صنع القرار السياسي نحن نعلم أن هناك مراحل لصنع القرار. ودائمًا ما نسأل: من الذي أعاق الدور المصري؟ ومن الذي أعاق القرار السياسي المصري حتى يكون منافسًا لتركيا وإيران؟ من الذي جعل إيران تتحرك في هذه المنطقة بهذه السهولة وبهذا اليسر؟ من الذي جعل تركيا تتحرك بهذه الصورة ومن الذي جعل من تركيا أو خلق لها وزنًا؛ بحيث أن أوباما عندما قرر أن يخاطب العالم الإسلامي قرر أن يخاطب العالم الإسلامي من تركيا، وليس من مصر ومكملا بالتهدئة مع إيران؟ فهذه أمور لابد أن نستدعيها ونتأملها بهدوء شديد. فالقضية هي انسحاب الدور المصري والتي جعلت لكل من تركيا وإيران هامشًا أكبر في الحركة.

أيضًا وفي ظل هذه المسألة كان هناك اتهام في داخل البرلمان للمعارضة بأنها غير وطنية للأسف، وتم الرد على هذا الموضوع برفض مناقشة الاستجوابات المتعلقة بالتعليم، وقد كنت من أصحاب تلك الفكرة؛ لأنه لا يجوز الحديث عن التعليم والأمن القومي يُخترق على الحدود. كذلك كانت إسرائيل تستفز مصر من خلال إطلاق الصواريخ على حدود رفح المصرية، والسؤال هو: ماذا فعلت مصر للرد على ذلك الهجوم على السيادة المصرية، ولحماية أمنها القومي المباشر؟ وبعد ذلك كذلك قيل إن مصر استخدمت كل الأوراق وأقامت مؤتمر شرم الشيخ، في حين أن مصر كانت مجرد محطة أو مكان لتجمع هذه الدول.

وبالمفهوم الحضاري فإن ما جرى فى غزة ليس حربًا، بل إنه عدوان هدفه الإبادة الجماعية لهذا الفصيل وهذا الجزء من الشعب الموجود في غزة. والذي تحمل وله وجهة نظر في قضيته. والإبادة الجماعية جريمة في القانون الدولي. وهذه ليست حربًا؛ لأن الحرب بالمفهوم الكلاسيكي هي وجود طرفين وسبب معروف لشن الحرب ومشكلات على الحدود. لكن هذه ليست مشكلات على الحدود، بل إنها إبادة وإصرار صهيوني على إبادة الشعب العربي في غزة، وهذه هي الحقيقة.

وأيضًا هناك نوع من الصمت يصل إلى حد التواطؤ على اتجاه سياسي لاقتلاعه. فإسرائيل كانت تريد ككيان عنصري أن تستعيد الهيبة العسكرية الصهيونية المفقودة في جنوب لبنان في يوليو وأغسطس ٢٠٠٦؛ لأن حزب الله استطاع أن

يقود حربًا بإمكانياته المحدودة واستطاع أن يواصل لمدة ٣٣ يومًا –في حين أن حرب أكتوبر استمرت لمدة ١٧ يوم– وأن يعيد النظر في مفاهيم الحرب التقليدية واستطاع أن يتحمل هجومًا مباشرًا وانتقاء الأهداف التي تم تدميرها. ولذلك فنحن أمام جريمة إبادة جماعية وأمام انسحاب مصري عمدي، وأنا أعتبر ان هذا بسبب حسابات داخلية وليس لي تفسير لانسحاب الدور المصري بهذه الصورة الفجة إلا نتيجة لحسابات داخلية الكل يعلمها.

وقد زرت تركيا في وفد رسمي يتبع مجلس الشعب وكان ذلك قبل أحداث غزة، وموقف تركيا من غزة لم يكن موقفًا سياسيًا مستحدثًا، بل إنه موقف له أصول وجذور؛ لأن حزب العدالة والتنمية متعاطف مع قضايا العالم الإسلامي ومع القضية الفلسطينية وأيضًا منحاز للجزء المجاهد الإسلامي من حماس، ولذلك كان أحد شروط المبادرة التركية هو قبول سيطرة حماس على غزة، وهذا ما لم تقبله مصر. إذن، هناك جذور للموقف التركي أعطى له هذه الشرعية وهذا الوزن.

كذلك الموقف الإيراني الذي له موقف استئصالي لإسرائيل، ونحن لا نستطيع أن نتخذ هذا الموقف، فلا نستطيع أن نتحمل الكلفة السياسية للقول بأن إسرائيل إلى زوال، فنحن نقولها كأكاديميين، وكسياسيين ولكن لا نستطيع كصانعي قرار القول بأن إسرائيل إلى زوال، ولا يستطيع حاكم عربي واحد أن يتحمل هذه المقولة. أما إيران فتتحمل نتائج هذه المقولة؛ لأن لديها إمكانيات ممارسة هذا الدور الفاعل في المنطقة وبالتالي لديها المقدرة على تحمل هذه المخاطر . ومنها التهديدات الأمريكية والإسرائيلية بضرب المشروع النووي الإيراني..

ما أريد قوله هو أن هذه الدول تتقدم وتحرز انجازات اقتصادية، لأن لديها بعدًا ديمقراطيًا، فتركيا عندما تمسكت بحماس أشارت إلى أن سبب ذلك هو أن حماس منتخبة وليس لأن حماس ذات توجه ديني معين. في حين أن تحريك الأحداث في مصر لا يتم إلا مزاجيًا ولتحقيق مصالح داخلية. وأنا أرى أن القرار هو حصاد لتفاعلات داخلية وإقليمية ودولية. ومصر مع الأسف الشديد ليس لديها أي استعداد لدفع تلك التكلفة، ولذلك كان عليها هجوم ضاري، وصل إلى مرحلة الهجوم على الشعب وعلى الدولة وعلى النظام دون تفرقة؛ لأن مصر المأمولة، ومصر الدور الفاعل في الوجدان العربي والإسلامي، ليست هي هذا النمط الذي نعيشه اليوم. ولذلك فقد انهزمت مصر هزيمة كبيرة جدًا بالمعنى السياسي عند انسحابها.

ومصر تحاول الآن إعادة الموقف والعلاقات، لكن نحن مضطرون لوضع أيدينا في أيدي ليبرمان ونعقد صفقة جديدة لكسب الوقت أطول فترة ممكنة. وكما نرى فالوضع مهترئ، وإذا عادت الروح إلى الدور المصري وأعيد تركيب المشهد مرة أخرى، فهنا يمكن أن نتحدث عن موقف عربي أو عروبي، وبالتالي يمكن أن نتحدث عن مستقبل أفضل.

وحاليًا فإن المستقبل في أيدي المقاومة، والمستقبل للمقاومة، والمستقبل للمشروع الحضاري. وما زلت أكرر أن إسرائيل إلى زوال، وهذه هي حكمة المشروع الحضاري. فالحملات الصليبية زالت على يد صلاح الدين الأيوبي، ولو أعدنا المشهد سيتكرر النصر. وفي جنوب إفريقيا كانت الأقلية البيضاء هي التي تحكم، ولكن بالمقاومة انتصر السود، والجزائر انتصرت، وفيتنام انتصرت، وهكذا، ولابد أن يكون لدينا ثقة.

وأعتقد أن مركز الحضارة نظر إلى المسألة من هذه النظرة الحضارية، فالمقاومة سوف تنتصر؛ لأن المقاومة لها فلسفة حضارية، وإسرائيل كيان عنصري استيطاني، والغرب لا يتحمل مجرد اتهامه بالعنصرية، وقد استطعنا ان نلصق إسرائيل بالعنصرية، واستطعنا ان نلصق العنصرية بالصهيونية، ثم تحلل العالم وألغى قرار الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية عنصرية في ظل معادلات القوى الجديدة وفي ظل تحلل الأوضاع فيما بعد كامب ديفيد، وهذا حصاد لكامب ديفيد، وعندما نطالب بإلغاء كامب ديفيد فإن هذا مطلب مشروع لبعض القوى السياسية وكون النظام لا يريد ان يأخذ بهذا المطلب فإن هذا من حق النظام وهذا هو خياره وهو الذي سيدفع الثمن.

الأستاذ خالد سعيد:

لي تساؤلات حول الدور التركي والكازاخستاني، أولا كنت أريد موقف الداخل التركي من موقف أردوغان أثناء مؤتمر ديفوس، وثانيًا: ربما يعتقد البعض أن أردوغان قام بعملية تفعيل للموقف، واستغل الموقف من أجل الانتخابات. والسؤال هو: هل هذه هي بالفعل الحقيقة أم أنه مجرد افتعال؟ وثالثًا: هل بالفعل استُخدم ملف العدوان على غزة بشكل جيد من قِبل تركيا للضغط على الولايات المتحدة لغلق ملف الأرمن؟ ورابعًا: هل بالفعل العدوان على غزة سوف يؤثر على العلاقات بين الطرفين؟ حيث أعتقد أن هناك اتفاقية عسكرية منذ عام ١٩٩٥، وهل العدوان على غزة سوف يؤثر على العلاقات الإسرائيلية التركية؟

أما بالنسبة لكازاخستان، فهل بالفعل الحرب على غزة سوف تؤثر على العلاقات الإسرائيلية الكازاخستانية؟ التي أعتقد أنها تعمقت بشكل كبير مؤخرًا.

الأستاذ عزو عبد القادر ناجي:

أعتقد أن العدوان لم يفشل في تحقيق أهدافه، التي تمثلت في تدمير غزة وزيادة الانشقاق في الصف الفلسطيني، ولم تحقق حماس أي شيء، فوجود حماس في السلطة أو في غزة

يعني أن العدوان المستمر، ومن هنا أعتقد أن الموقف الباكستاني كان لا يتناسب مع باكستان كأكبر دولة إسلامية.

ولديَّ سؤال حول الأقليات المسلمة في الخارج، هل كان دورها متناسبًا مع إمكانياتها؟ ولو قارنا موقف تلك الأقليات مع الموقف الإنساني للشعوب الغربية تجاه أحداث غزة، فما الموقف الأقوى والأكثر إيجابية تجاه أحداث غزة؟ وهل ضعف الدور الإقليمي العربي تجاه القضية الفلسطينية كان له الدور الأكبر في عدم الاهتمام الإفريقي بأحداث غزة؟

الأستاذة مي محمد:

لاحظت من كل الأبحاث التي عُرضت اليوم أن معظم الدول سواء في الدائرة العربية أو الدائرة الإسلامية تبنت مبدأ أنا ومن بعدي الطوفان، أي مبدأ المصلحة الخاصة الخالصة وكانت تساؤلاتي حول ما إذا كانت تلك الدول تنظر من منظور ضيق للمصلحة الوطنية. وهل هناك فجوة بين رؤية الشعوب للمصلحة الوطنية وبين حكوماتها؟ وإذا كان هناك بالفعل فجوة، فمن أين أتت؟ وهل الشعوب تطالب حكوماتها بالمستحيل؟ ومن المسؤول عن ضيق تصور الحكومات للمصلحة الوطنية لها؟ وهل الضغوط هي شيئ لا يمكن كسره أو أنه من المستحيل تخطيها؟ وشكرًا.

الأستاذ سامح سعيد:

هل موقف تركيا تجاه إسرائيل سوف يؤثر على انضمامها للاتحاد الأوروبي؟ وما المقصود بالدول المانعة؟

الأستاذ على عليوة:

تساؤلاتي حول الدور الإيراني، فهناك إشكاليات معينة، فإيران سنويًا تخرج المظاهرات في طهران في يوم القدس العالمي تسب الشيطان الأكبر. لكن حينما أرى أحمدي نجاد في الأمم المتحدة أسمع منه التصريحات الآتية: «لقد ساعدنا امريكا على احتلال العراق وأفغانستان، ولولا المساعدات الإيرانية ما استطاعت أمريكا البقاء في هاتين الدولتين». فهذه تصريحات على لسان أكبر مسؤول إيراني.

الأمر الآخر المثير للحيرة، هو مسألة أن أحمدي نجاد يزور العراق وهي دولة محتلة وبتسهيلات أمريكية ويخطط لدور إيراني أكبر في العراق، أي أن إيران أيضًا لها تصريحات تثير التساؤلات، إضافة إلى احتلالها للجزر الإماراتية. وهناك كتاب تحت عنوان «حلف المصالح المشتركة: إيران وأمريكا وإسرائيل»، وفي هذا الكتاب توجد وثائق وأدلة على التحالف السري ما بين إيران وأمريكا وإسرائيل، ومن بين أنواع هذا التعاون صفقه الأسلحة التي وصلت إلى ايران في حربها مع العراق فيما يعرف بإيران جيت، وكان من المذهل بالنسبة لي أن أعلم أن إيران كانت تحصل على أسلحتها من إسرائيل.

الأستاذ مدحت ماهر:

الخلاصة التي استفدتها من هذا اليوم هي أن الأمة بها مستويات ودرجات مختلفة من الوعي بمفهوم الأمة؛ ومن ثم التعايش مع قضية مثل العدوان على غزة. وقد اصطدمت ببعض الأمور التي لم أكن أعرفها مثل موقف آسيا الوسطى التي وصل فيها الموقف إلى حد أن بعض الجهات الشعبية، وكذلك الأمر فى نيجيريا وبعض الأجزاء من إفريقيا، لأن تصبح بعض الجهات الشعبية والرسمية ضد التيار العام أو الرئيسي في الأمة، وأن تكون في حالة انضغاط شديد جدًا من الولايات المتحدة وإسرائيل. وقد تعلمت من تلك الجلسات أن الأمة خريطتها تتكون من قطع فسيفسائية غير قبيحة وغير جميلة في الوقت نفسه، وتحتاج لأن يكون لدى الباحثين المهتمين بالرؤية الحضارية وعي بأن الأمة ليست على مستوى واحد. وهذا ينقلني إلى الأسئلة، فقد كان في تخطيط الندوة أن يكون محور الأقليات مع مواقف الدول العربية والإسلامية وأطراف الصراع؛ لأن الأقليات جزء من الأمة، وهذا يعتبر تغليبًا للرؤية الحضارية على الرؤية الإسلامية؛ لأنهم حضاريًا جزء من الأمة. لكن الأقليات تشهد حالة انضغاط ما بين أمرين؛ ارتباطها بالأمة والتي تعتبر بالنسبة لها في الخارج الجغرافي، وما بين سياقاتها المتعددة وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر: والسؤال هو: هل توجد ملامح معينة للخروج من هذا الانضغاط بصفة عامة؟ وهذا لا يخص أقلية معينة، وهل يوجد فكر جديد أو رؤية يمكن لهم من خلالها المواءمة بين وجودهم ومحاولات الاندماج وبين كونهم جزءًا من الأمة في الوقت ذاته؟

السؤال الثاني يتعلق بفكرة الدور وهل الدور مرتبط بالنظم؟ وهل نحن كشعوب -وكشعب مصري بالأخص- مسهمون بالانسحاب في الدور، أم أن السياسي أقوى كثيرًا من المجتمعي؟ ومن ثم يمكن التماس بعض العذر للشعب المصري.

الأستاذة هبة السيد رمضان:

اعتقد أنه من ضمن أهداف العدوان على غزة ما يمكن تسميته برد المقاومة؛ بمعنى أنه في يوليو ٢٠٠٦ تم عمل خدش كبير في نظرية الردع الإسرائيلية على يد جيش غير نظامي أو ميليشيا، بما أثار للأذهان أنه لا يمكن لإسرائيل بعد هذه اللحظة أن تقوم بمواجهة حركة مقاومة، خصوصًا بعد المراجعة الداخلية للجيش الإسرائيلي وما يسمى بخطة ٢٠١٢، وهو ما يطرح مسألة الاختلاف والتباين ما بين الجيش النظامي والجيش غير النظامي. وأعتقد أن هذا الهدف كان شيئًا أساسيًا بالنسبة للنظرية الأمنية الإسرائيلية، التي لا تزال في طور التشكل ما لم تكن قد تشكلت بالفعل، والتي تقوم على

أساس أنها جسم مزروع داخل كيان كاره ونابذ له. واعتقد أن الفكرة كانت محاولة لإزالة فكرة أن تلك المقاومة يمكن أن تردع إسرائيل عن أن تُقدم على ضربة أخرى في أي مكان. وأعتقد أنه يمكن في هذا الإطار تفسير الصواريخ الآتية من حزب الله التي يمكن أن تكون متنفسًا للساسة الإسرائيليين أن يتحدثوا ولو بالقول الرمزي عن نية الالتفات مرة أخرى للبنان.

بالنسبة للأقليات أعتقد أنه لو عدنا للوراء قليلا سنجد أن تلك الأقليات قد خرجت من بلدانها على أساس ثلاثة أمور أساسية؛ الفقر والبحث عن حياة اقتصادية أفضل، والحصول على فرص علمية أفضل بالنسبة للعلماء، والهروب من الديكتاتورية من خلال اللجوء السياسي أو غيره. واعتقد أن ما حدث في الرأي العام في الخارج ما كان ليحدث لولا وجود دعاة أو مسوقين عرب ومسلمين للقضية، وهذا واضح جدًا في المظاهرات.

السؤال هو: ما المتوقع بعد الأزمة المالية العالمية وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي تعتبر تدريبًا على المشاركة السياسية للعرب والمسلمين في هذه الأوطان الجديدة.؟

الأستاذة هند خفاجي:

تمت الإشارة إلى أنه أثناء أحداث غزة وضح جدًا تراجع دور مصر الحضاري والتاريخي، وهذا أدى إلى ظهور قوى أخرى مثل تركيا وايران، والسؤال هو: هل هناك إمكانية في أن يعود الدور المصري مرة أخرى؟

الأستاذ عبد الحميد حسام:

بالنسبة لعدم زيارة الرئيس مبارك للولايات المتحدة منذ أبريل ٢٠٠٤ فما السبب وراء ذلك؟ وهل مخاطبة الرئيس الأمريكي للعالم الإسلامي من خلال تركيا ترجع إلى توتر العلاقات بين إيران والسعودية، أم بسبب التوافق الدبلوماسي بين إيران وتركيا؟

الأستاذة داليا يوسف:

بشكل سريع جدًا، أريد الإشارة إلى فكرة تناسب دور الأقليات مع الحدث، وأتصور أن التحديات التي ذكرتها الورقة تحاول الإجابة عن تلك المسألة. فإذا كنا نحاول رصد مدى تماسك هذا الدور، فإنه يجب في البداية دراسة البيئة التي تتحرك فيها الأقليات وكأننا نشاهد مشهدًا ديناميكيًا؛ حيث تواجه الأقليات عددًا كبيرًا من التحديات، وفي الوقت نفسه يظهر متغير أو لعله ثابت وهو العدوان الإسرائيلي على غزة وموقف الأقليات من القضية الفلسطينية.

وفي النهاية بالنسبة للسؤال: ما رؤية الأقليات إذا كان التضامن أو دعم القضية الفلسطينية سوف يخصم أو يضيف من وجودها؟ فإن هذه مسألة تحددها عدة عناصر، منها: محاولة دعم الأمة، وهو ما أشار إليه الأستاذ مدحت بالانضغاط ما بين الأمة وما بين الأوضاع الخاصة بالأقليات، وهذا ليس فقط في اتجاه واحد، فيجب ألا ننتظر أن تتجه الأقليات نحو الأمة. بل يجب أن نسأل أنفسنا أيضًا: كيف تتجه الأمة نحو الأقليات؟ فإذا نظرنا إلى المجلس الأوروبي للبحوث والإفتاء كمؤسسة تجسّر إلى حد ما بين العالم الإسلامي والأقليات سنجد أنها أسهمت بشكل أو بآخر في وجود بنية مؤسسية للتواصل، لكنها غير كافية وفي حاجة إلى تطوير كبير، وفي حاجة إلى التعديل ليس فقط في دائرة البحوث والإفتاء وإنما أيضًا في الدوائر الاجتماعية والسياسية ومستويات غير بحثية. ولذلك أرى أن القضية ذات اتجاهين وفي حاجة للاجتهاد.

أعتقد أن اللحظة أصبحت سانحة من أجل خلق أغلبية تدعم القضايا الإسلامية في أوروبا وفي العالم الغربي بشكل عام، والحاكم في ذلك هو الظروف وقدراتنا على استغلال الفرص.

وبشكل عام أرى أن هناك أطيافًا واسعة في التعامل مع مسألة حماس تحديدًا، ففي ألمانيا ترى الجالية الإسلامية أن حماس على لائحة الإرهاب، ولكن دعم الفلسطينيين هو بسبب الأوضاع الإنسانية، وبالتالي الأوضاع الإنسانية هي المحدد لمستوى التواصل مع القضية الفلسطينية.

هناك مستوى آخر مثل قافلة شريان الحياة التي أعطت لحماس تبرعات مالية مباشرة، وبالتالي نجد أنفسنا أمام أطياف واسعة هي التي سوف تحدد قدرة كل طرف على إقناع الأطراف الأخرى بمصداقية موقفه وقدرته على التغيير.

الأستاذة مروة يوسف:

أعتقد أن الاهتمام الإفريقي بالقضية الفلسطينية كان بسبب الاهتمام بالعلاقات العربية الإفريقية، وبالتالي كانت قضية تابعة وليست مستقلة. وعندما تزيد قوة العلاقات العربية الإفريقية، يتزايد الاهتمام الإفريقي بالقضية الفلسطينية.

أما فيما يخص مؤسسات حقوق الإنسان في الدول الإفريقية، فإن معظم منظمات حقوق الإنسان في الدول الإفريقية تهتم بالداخل الإفريقي. إضافة إلى أن تمويلها يأتي من الخارج، وهذا يفرض عليها أجندة معينة. لكن في خلال فترة الرصد وجدت أن هناك منظمة واحدة لحقوق الإنسان في نيجيريا أعلنت موقف التضامن مع غزة، وتم ذلك من خلال إشعال ١٢٥٠ شمعة بمعدل شمعة لكل شهيد.

الأستاذة سمر زايد:

حول العلاقات الكازاخية الإسرائيلية بعد العدوان على غزة، أعتقد أنه على المستوى الرسمي لن تتأثر العلاقات بدليل مؤتمر دافوس؛ حيث يُلاحظ اللقاء الحار بين الرئيس الكازاخي وشمعون بيريز والذي أكد خلاله توثيق العلاقات الاقتصادية

بين البلدين فور وقف إطلاق النار، وبالفعل تم عمل مباحثات بشأن صفقات عسكرية بين البلدين. الحقيقة أن إسرائيل تستفيد من كازاخستان وبخاصة في المجال النووي والفضائي؛ ولذلك تحاول إسرائيل التعاون مع كازاخستان في عدة مجالات.

وبالنسبة للمستوى غير الرسمي في آسيا الوسطى، فإن الشعوب كانت تقف تمامًا مع القضية الفلسطينية لاعتبارات النصرة والتضامن، وكان هذا يدعو إلى الاحترام في ظل الأنظمة التي تحاول فصل الإسلام عن القضية.

الأستاذة شيماء بهاء:

إن مفهوم الدول الممانعة ظهر من قِبل الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكان من المفترض أن يتم تقسيم الدول ما بين دول معتدلة ودول متطرفة. ولكن بالنسبة لدول الممانعة بشكل خاص فغالبًا ما نسمع عن مفهوم محور الممانعة؛ لأنها ليست دولا فقط وإنما توجد منظمات أيضًا، والمقصود بهذا المحور هو الدول الرافضة للسياسة الأمريكية في مقابل دول الاعتدال مثل مصر والاردن والسعودية التي تأخذ موقفًا أقل رفضًا للسياسات الأمريكية.

وفيما يتعلق ببحث إيران عن مصالح خاصة أو أنها تعلن عن أطماع في البحرين، يمكن القول إنه بالفعل هناك خلافات ما بين الدول العربية وإيران مثل الإمارات، لكن نحن هنا الآن نتحدث في إطار القضايا الإسلامية، حتى أن الدول العربية نفسها بها خلافات حدودية مثل معظم دول الخليج ودول المغرب، وهذا ليس معناه أن يؤدي إلى قطع العلاقات. وصحيح أن إيران لديها مشروع لكنه ليس مشروع امبرياليًا وتوسعيًا، بل إن ايران أعلنت عن شرق أوسط إسلامي والشيء نفسه بالنسبة لإسرائيل لكنها غير قادرة على تنفيذ هذا المشروع بسبب المقاومة.

وبالنسبة لفكرة المصلحة وما إذا كانت الدول يهمها المصلحة الخاصة أم لا، أعتقد انه لا يُشترط أن يكون هناك تناقض بين المصلحة الخاصة للدولة والعمل من أجل القضية الفلسطينية. فإيران ترى أن دعمها للقضية الفلسطينية هو جزء من أمنها القومي، مثلما تُعتبر القضية الفلسطينية جزءًا من الأمن القومي المصري، وبالتالي لا يشترط أن يكون هناك تناقض بين المصلحة الوطنية ودعم القضايا الخارجية.

وأرى أنه على الرغم من العداء بين الولايات المتحدة وإيران إلا أن هناك مشاورات تجري بين الولايات المتحدة وإيران حول العراق التي تعتبر وضعًا خاصًا.

الأستاذة سناء البنا:

هناك مجموعة من الملاحظات أود ذكرها، فأولا وحول الموقف الشعبي من دافوس، أعتقد أنه كان موقفًا كاسحًا، لكن كانت له وجوه أخرى؛ حيث ظهر الكثير من الانتقادات في الداخل ترى أن تركيا تستخدم لغة غير دبلوماسية، وأنها خرجت عن قواعد الدبلوماسية الدولية، وأنها تهدد موقفها المحايد من القضية الفلسطينية، وأن أردوغان كان يتحدث وكأنه يمثل منظمة إرهابية في إشارة لحماس، وأنه حطم صورة تركيا في العالم.

بالطبع ظهرت انتقادات أخرى ترى أن الموقف كان انفعالي وكان غير محسوب. وفي الموضوع نفسه ظهرت فكرة أخرى، فبالرغم من انسحاب أردوغان من دافوس بصورة مستعجلة، لكن هذا لم يكن موقف وزير الخارجية التركي نفسه الذي استمر في المؤتمر حتى النهاية.

فالفكرة أنه في تلك اللحظة ظهر التوازن بين طرفين، طرف يحاول الشد (رئيس الوزراء) وطرف آخر يركز على التوافق (وزير الخارجية).

الامر الآخر حول علاقة دافوس بالانتخابات، وهل كانت دافوس مستخدمة في التنافس الانتخابي؟ نعم بالفعل، لكن ليس عيبًا أن يحاول الحزب زيادة شعبيته بين الأوساط الجماهيرية سواء كانت الإسلامية او غير الإسلامية؛ لأنه في النهاية كان تبرير الموقف من دافوس أنه يمثل دفاعًا عن الكرامة الوطنية. ومن هنا ظهرت فكرة الوطنية الاستقلالية التي لابد أن تُحترم في العالم. وبالتالي استُخدمت دافوس في الانتخابات، وهذا أمر إيجابي وليس سلبيًا. ولكن من ناحية أخرى عبر هذا الموقف عن مكون ثقافي للشخصية التركية في العلاقات الدولية، وهي فكرة الاعتزاز بالكرامة الوطنية وبالهوية، والتي تعتبر عائقًا واضحًا في تطور المفاوضات مع الجانب الأوروبي فيما يتعلق بقضية قبرص.

النقطة الأخرى هي التساؤل عما إذا كانت تركيا تستخدم القضية الفلسطينية لتحسين علاقتها فيما يخص ملف الأرمن في الكونجرس. يمكن القول إن تركيا تستخدم تلك القضية الفلسطينية لتوضيح مدى احتياج العالم الغربي والولايات المتحدة بالذات للدور التركي في المنطقة. واعتقد أنها نجحت في أن تجعل أوباما لا يُظهر أي موقف تجاه موضوع العلاقات التركية الأرمنية. إلا أن تركيا من ناحية أخرى ركزت على تحسين علاقاتها الدبلوماسية مع أرمينيا وفتح الحدود مرة أخرى وتطبيع العلاقات بمعنى أنها تحاول اتخاذ خطوات في تلك القضية.

أما فيما يخص مستقبل العلاقات الإسرائيلية التركية، فقد عادت إلى وضع التسالم دبلوماسيًا والتعاون، وظهرت تحليلات سياسية كثيرة جدًا عن أن العلاقة بين تركيا وإسرائيل هي علاقة استراتيجية وتعاون غير قابل للتأثر بالأزمات الدولية. ولكن هناك وقائع أخرى تشير إلى أن معدلات التبادل التجاري

انخفضت بشكل رهيب، وهناك تحليلات تشير إلى أن تركيا في علاقاتها مع إسرائيل سوف تواجه مشكلات بسبب تهديدات اللوبي الأرماني في الولايات المتحدة بأنها سوف تستخدم هذا الملف بشكل جدي ضد تركيا، وهناك مشكلة أخرى وهي أن إسرائيل بدأت بشكلٍ ما التنسيق مع الأحزاب التركية الأخرى التي أحسنت استغلال موقفها من غزة بأن تحاول أن تحصل على قاعدة من الشعبية، ففي الانتخابات الأخيرة التي أُجريت في ٢٩ من مارس، كان الحزبان الرئيسيان المعارضان في تركيا وهما حزب الشعب الجمهوري وحزب الجماعة الوطنية قد حصلا على ما يعادل أو ما يقارب نسبة تأييد الشعب التركي لحزب العدالة والتنمية، وبالتالي فقد نجحت كل الأحزاب في استغلال الموقف بشكل قوي، وأعتقد أن هذه هي السياسة بصرف النظر عن مدى تأثير المكون الثقافي والحضاري؛ لأن الحسابات الانتخابية هي الأهم في النهاية لكل الأحزاب.

الأمر الأخير يتعلق بدور منظمات حقوق الإنسان، ما أعرفه أن هناك جمعية تركية أصدرت تقريرًا معمليًا عن الانتهاكات التي قامت بها إسرائيل في استخدام القنابل الفسفورية ضد الفلسطيين، وقدمت ذلك التقرير لمحكمة اسطنبول، وقررت أنها سوف تتابع تلك الدعوى القضائية من أجل محاكمة المسؤولين الإسرائيليين عن تلك الجرائم، ليس لديَّ معلومات أكثر من ذلك. لكن لا أعتقد أنها سوف تحقق تقدمًا كبيرًا لأنه يوجد داخل المؤسسات التركية تيار قوى جدًا يدعم إسرائيل بصرف النظر عن توجهات الصف الأول من الحكومة.

النقطة الأخيرة الخاصة بمدى تأثير موقف تركيا على الانضمام للاتحاد الأوروبي، المشكلة أنه في الاجتماع الأخير لرئيس الجمهورية في بروكسل، وضح بشدة أنه لابد لتركيا أن تتخذ خطوات مع قبرص لفتح الموانئ مرة أخرى للبوارج القبرصية، وإلا فإنها سوف تواجه صعوبات حقيقية إن لم تفعل ذلك بنهاية ٢٠٠٩ . والمشكلة ليست فقط في قبرص، ولكن المشكلة كذلك في الخلافات الحضارية والثقافية التي تثيرها فرنسا والدول الغربية الأخرى عن هوية تركيا، وعن الاكتساح الإسلامي لتركيا، وحصان طروادة الذي سوف يقوم بإعادة الخلافة العثمانية. وأعتقد أنه من خلال التحليلات أن تركيا الآن في مرحلة اقتناص أكبر قدر من التعويضات إن لم تحصل على عضوية الاتحاد الأوروبي، فهي الآن تحاول الحصول على كل ما يمكن الحصول عليه سواء من تبادل تجاري مع الولايات المتحدة وأن تكون هناك فرص للتبادل التجاري مع الدول العربية من خلال تبني تركيا هذا الموقف من العدوان على غزة. ومن ضمن قائمة التعويضات التي تطالب بها تركيا أن يكون لها نفوذ أو قوة ناعمة في آسيا الوسطى وفي الشرق الأوسط وأن تقوم بنشر طريقتها في الديمقراطية. ويضاف إلي ذلك أن يكون لها دور كبير في تحديد نتائج المفاوضات بين سوريا وإسرائيل أو بين إيران وإسرائيل أو إيران والولايات المتحدة. وبالتالي فالتوازنات التركية الداخلية لا تمنع من أن يكون لديها طموحات في التوسع وفي التمدد داخل المنطقة التي يوجد بها الآن فراغ يجتذب الدور التركي بشكل واسع، ويساعدها على استخدام أدوات عديدة لسياستها الخارجية وليس فقط الأدوات الاقتصادية أو التفاوضية، ولكن أيضًا الأدوات التي تدخل تحت قائمة القوة الناعمة لتركيا.

الدكتور جمال زهران:

حول التساؤل عن الشعوب والحكومات، ومن المسؤول عن تلك الفجوة وحول مفهوم الدور وهل هو مرتبط بالأنظمة أم بالسياسي، يمكن القول إنه حتى لا تكون هناك فجوة فلابد أن يكون النظام ديمقراطيًا؛ أي أنه نظام جاء بإرادة الشعب وبالتالي يعبر عن الشعب، وإن أخفق في التعبير عن الشعب سيكون مصيره هو تدهور شعبيته، وخروجه من الحكم. وهنا يثور السؤال التالي: لماذا ثارت الشعوب العربية وغضبت؟ لأن الشعوب في جهة والأنظمة العربية في جهة أخرى ومحاصرة في مواقعها وقصورها؛ ولأن هناك انفصالا طبيعيًا بين هذين الجانبين؛ ولأن هذه الأنظمة لم تأتِ بإرادة شعوبها، وهذا هو الرد الحاسم.

وإذا كانت تركيا تتمع بالديمقراطية فإن إيران تتمتع بتداول السلطة، وهو الأمر الذي لا وجود له في الأنظمة العربية وبالتالي لابد أن يحدث الانفصال الذي يتكرس لأن النظم الاستبدادية تدافع عن مصالحها. ولعل الاستمرار في الحكم هو أحد الأهداف الإستراتيجية، وكذلك الحفاظ على مصالحها وترابطاتها وارتباط الثروة بالسلطة، وهذا يفصل تلك الأنظمة عن أغلبية المجتمع. لكن إذا كانت تلك الأنظمة تأتي إلى الحكم من خلال الديمقراطية، سيكون هدفها الأول هو الشعب، فقد كانت هناك خيارات أمام صانع القرار المصري لوقف التطبيع، ووقف اتفاقية الكويز، ووقف تصدير الغاز، إلا أنه مع الأسف الشديد، وبسبب سيطرة رجال الأعمال على الحكم وعلى رقبة الاقتصاد القومي، أصبح القرار السياسي مخنوقًا. فالجدار العازل الذي بُني كان بمواد خام مصرية، وهذه المعلومات منشورة وليست بجديدة، أي أن رجال التطبيع ورجال الأعمال استطاعوا أن يضغطوا بالشكل الذي حال دون أن يكون هناك قرار سياسي مستقل وقوي لمواجهة الحدث والتعامل معه.

وحول التساؤل من هدف المقاومة، أقول إنه من أحد أهم عشرة أهداف بالنسبة لإسرائيل ضرب المقاومة، وضرب فصيل سياسي وهو حماس، وتدمير البنية التحتية والأساسية، ورد الاعتبار والثأر من هزيمة الجيش الإسرائيلي أمام حزب الله وقد اعترفوا بذلك. مع الرغبة في إعادة الاعتبار في عهد أولمرت

لاعتبارات انتخابية، ومحاولة توظيف الأداة العسكرية لتحقيق مكاسب انتخابية، وقد فشلوا لأن هذا تأكيد أن مفهوم الانتصار كان نسبيًا؛ لأن إسرائيل انتصرت عندما حدث الاكتساح الإسرائيلي داخل غزة وإعادة احتلال غزة، لكن في المقابل المقاومة انتصرت أيضًا بالمعايير المعروفة في فلسفة المقاومة وفي حركات المقاومة وفي فقه المقاومة وهذا فقه حضاري.

وما أريد قوله هو أن بداية سقوط نظرية الردع الإسرائيلية التي قامت على التوسع الجغرافي كان منذ عهد صدام حسين، الذي استخدم عام ١٩٩٠ في هجومه على الكويت ٣٩ صاروخًا انطلقت من بغداد ومن مواقع عسكرية وتجاوزت الأردن ودخلت داخل تل أبيب، وفي مواقع إسرائيلية داخلية، وكان هذا إيذانًا بسقوط الحواجز التي قامت عليها نظرية الردع الإسرائيلي، وهذه هي أحد الدلالات الأساسية بأن مشروع التوسع الصهيوني انتهى، وانتهت أحلام بناء دولة تمتد من النيل إلى الفرات. وإسرائيل إلى زوال إن شاء الله في القريب العاجل.

وحول التساؤل عما إن كانت هناك إمكانية لعودة الدور المصري، فالإجابة نعم بالطبع، ولكن من خلال الديمقراطية فأساس الدور المصري القوي -كما هو الحال في تركيا- أن تكون هناك ديمقراطية ونظام حكم قوي واحترام لخيارات الشعب، وبدون ذلك لا أتوقع أن تعود مصر إلى دورها الطبيعي.

وحول زيارة أوباما لتركيا، أرى أن هذه خيارات دقيقة. وقد أراد أوباما أن يقدم نفسه لإحداث تهدئة، يعيد من خلالها صورة ذهنية أفضل للولايات المتحدة، مقارنه بعهد بوش الذي اتسم بالتآمر.

●●●